الحكيم والعبيط والعبد

بقلم : لاوسن

ترجمة : مختار السويفي

وهل يفعل العبد شيئا الا ان يشكو ؟ ! .. لقد ظل يبحث في الناس عمن يستدر منهم الرحمة على حاله ويواسونه في بلواه ..

وفي يوم ما قابل العبد رجلا حكيما ، واخذ يحكي له ما يلاقيه ، والدموع على خديه تسيل ، وتباكيه يكاد يغطر القناوت ..

ـ سيدي .. هل تعرف اي حياة اعيش ؟ .. اني اعامل كالكلاب .. اني آكل وجبة واحدة كل يوم .. وجبة من اعشاب الارض قد تالف من اكلها الحنازير .. وماذا تراني اصيب منها ؟ .. لمالة مستديلة في طبق حقير .. ؟

فقال الرجل الحكيم مواسيا :

ـ ان هذا امر سيىء للغاية .. يا حرام !

فرد عليه العبد وقد انتعشت نفسه بالمواساة :

ـ الم اقل لك يا سيدي ان هذا امر سيىء .. اذن ، فلتنعم يا سيدي ايضا اني اعمل كالثور خلال الليل وطول النهار . في الفجر املأ جرار المياه ، وقبل الشروق اعد الافطار ، ومن الصباح الى الضحى اوزع الرسائل واشتري الحاجيات .. وعند الظهر اطبخ .. وعند العصر اطحن الحبوب .. وبعد الغروب اعد العشاء .. وفي نصف الليل اعلى « عش الغراب » واعد العشاءين .. وحتى الفجر اظل مؤتمرا بأوامر المقامرين .. سيدي الكبير ورفاقه العظام ! .. انا عندما تصحو السماء اعمل الثياب ، وان امطرت احمل « المظلة » واسير وراء الاسياد .. !

فقال الحكيم متنهدا في اشفاق ، والدموع تكاد تطفر من عينيه :

ـ يا حرام .. يا حرام ! !

فقال العبد في نعمة من وجد اخيرا شخصا يواسيه :

ـ ارايت يا سيدي ؟ .. اني لا استطيع ان احتمل اكثر من ذلك .. لابد ان احد محرجا .. ولكني لا اعرف كيف ؟ !

فقال الحكيم مستفهما متابع الحكمة :

ـ لا شك ان الامور ستتحسن .. !

فرد العبد كمن عادت اليه الروح

ـ هل تعني ذلك يا سيدى ؟ .. ليته يكون ! .. ها انذا قد حكيت لك حياتي ياسيدى ، فواسني وشملني بعطفك ورحمتك .. اني اشعر الآن بالتحسن .. ان هذا يدل على ان العدل ما زال يأخذ مجراه في هذا العالم .. ! ؟

* * *

ودارت الايام ...

وقابل العبد رجلا عيطا .. واخذ يبثه شكواه .. ويسترحمه على بلواه .. وبين الدموع قال .

ـ سيدى .. هل تعرف اين اعيش؟.. عشه نذره اثنى من حظيرة الخنازير .. ان سيدى الكبير لا يعاملني كانسان .. انه يعامل كلبه اكرم مني عشرة آلاف مرة ! !

ـ تحرب بيته .. وكيف تسكت .. ؟

ـ يا سيدى اسمعني .. ان كوخي حقير .. حقير جدا وتحت الارض في بدروم .. بارد جدا ورطب للغاية .. اعيش فيه انا واكثر من مائة الف نفة .. ينهشون جسمي ويمصون لحمي كأن لم يكفهم الحيطان والخشب .. الجو في كوخي مكتوم لا هواء فيه يخيل اليك كأنك ستختنق .. ولا نافذة هناك تدخل نسمة واحدة ترد اليك الروح ...

ـ يخرب بيتك .. والا لماذا تسكت .. لماذا لم تطلب من سيدك ان يفتح لك نافذة ..

ـ ويلاه .. وكيف اجسر ؟ !

ولان الرجل كان عيطا ، فقد جذب العبد من يديه وهو يصيح بأعلى صوت ممكن :

ـ لا .. فلتريني القبر الذي تعيش فيه .. كيف يكون بلا نافذة ؟

وعندما وصل الاثنان الى الكوخ ، تقدم العيط واخذ يحفر الحائط ، فهب العبد مذعورا وصاح :

ـ سيدى .. ما هذا الذي تفعل ؟

ـ افتح لك نافذة .. الا ترى ؟!

ـ سيدى .. هذا مستحيل .. ان سيدى الكبير سيشنقني !

ـ فلتدعه .. لابد أن تفتح لك نافذة ..

واستمر العيط في الحفر .. ولم يجد العبد بدا من أن يصرخ عاليا ويبكي ويلطم خديه :

ـ الحقوني .. الحقوني .. لص يهدم البيت .. اسرعوا والا انهدم الحائط !

ثم ارتمى العبد على الارض وهو يبكي ويندب .. وجاء عبيد كثيرون وانهالوا العيط .. ثم جاء اخيرا ـ رئيد الحي ـ السيد الكبير ..

فقام العبد من الارض وانحنى وقال وشفتاه على وشك ان تذوبا من حرارة الاحترام :

ـ لقد جاء لص شرير اراد ان يهدم الدار ! فصحت عاليا وجمعت الرفاق .. ثم طردناه سويا ..

هز السيد الكبير رأسه وقال :

ـ لقد احسنت !

وكان الناس قد تجمعوا ليروا ما يدور .. وكان بينهم الرجل الحكيم .. فتقدم اليه العبد مرهوا يقول :

ـ ارايت يا سيدى ؟ .. لاني قد حملت نفسي مفيدا فقد طهرت بشاء سيدى الكبير .. عندما قلت لى ق الماضي « لا شك ان الأمور ستتحسن» كنت تقول الحق وتنظر الى بعيد ..

فهمهم الحكيم فى سرور :

ـ هذا صحيح .. هذا صحيح !!